حقيقة الزوايا في الجزائر ودورها الدعوي

إعداد : د. بويعقوب بوطالب

مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف، ولاية مستغانم.

boutalebbouyakoub@gmail.com

الملخص.

يتناول هذا البحث دراسة موضوع بيان حقيقة الزوايا في الجزائر ودورها الدعوي، من حيث بيان المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمفردات مصطلحات البحث، وبيان تاريخ إنشاء الزوايا في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، والجذور التي تعود إليها، إشارة إلى أنواع الزوايا في الجزائر، من حيث حسب الانتساب، حرة وغير حرة، وحسب الموقع، ريف ومدينة، وحسب الأدوار، القرآن والعلم والضيافة.

كما تناول هذا البحث أيضا الأدوار الدعوية التي قامت بها الزوايا في الجزائر، من حيث الدور الديني والتعليمي والتربوي والجهادي والإصلاحي والصحي، حسب المراحل التي مرت بها منذ تأسيسها إلى العصر الحالي.

الكلمات المفتاحية: الزوايا؛ الجزائر؛ الدعوة.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد:

العمل الدعوي المؤسسي هو العمل الجماعي المتطور والمهيكل والمبني على أساس الالتزام بمبدأ الشورى،

والمنظم على وظائف الإدارة، من أجل تحقيق مقاصد ربانية وأهداف إنسانية، والدعوة إلى الله تعالى تعتبر من أشرف الوظائف، وأفضل الأعمال، فإنها وظيفة الأنبياء والرسل، ووظيفة من سار على هديهم وطريقهم، ومن هذه المؤسسات الدعوية الزوايا التي ظهرت في القرن الرابع والخامس الهجري، في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، ومنذ ذلك الحين عرفت انتشارا واسعا عبر المراحل التاريخية، وذلك جيلا بعد جيل، وتعد الزوايا عبر هذه المراحل من أغنى المؤسسات الدعوية والمحافظة على ثوابت الأمة وهويتها، والزوايا كانت ولا زالت حاضرة بقوة في جميع مراحلها في العمل الدعوي، وهي تحتل مكانة الصدارة من بين المؤسسات الدعوية.

وتعد الزوايا من بين أهم المؤسسات الدينية التي كانت لها أدوار متعددة في العمل الدعوي، ولا زالت قائمة على ذلك بهذه الأدوار، التربوية والتعليمية والاجتماعية والعسكرية عبر مراحلها المختلفة.

أهمية البحث.

تنبع أهمية هذا البحث من الموضوع الذي يعالجه، حول حقيقة الزوايا في الجزائر ودورها الدعوي، مما استلزم بيان أهمية حقيقة الزوايا ونشأتها وأنواعها في الجزائر، من أجل ضبط العمل الدعوي التي قامت به الزوايا في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة.

أهداف البحث.

يهدف هذا البحث لعدة أهداف، لعل من أبرزها ما يلي:

- التعرف على حقيقة الزوايا في الجزائر.
- الوقوف على تاريخ الزوايا ومسايرة الأحداث منذ بداية تأسيسها إلى أن أصبحت مؤسسة قائمة بذاتها.
- لفت الانتباه إلى أنواع الزوايا في الجزائر.
- الاطلاع على الأدوار الدعوية التي قامت بها هذه الزوايا.

المنهج المتبع.

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهجين:

المنهج التاريخي: لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، وبهدف التوصل إلى الحقائق التاريخية، وذلك من خلال إبراز نشأة الزوايا، وأنواعها، والأدوار الدعوية التي قامت بها.

المنهج التحليلي: حيث سعيت إلى تحليل تطور الزوايا منذ بداية النشأة إلى أن استقرت وأصبحت مؤسسة علمية وتربوية واجتماعية وروحية.

الإشكالية.

لإبراز أنواع الزوايا، والأدوار الدعوية التي قامت بها في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة، ولإثراء هذا البحث وإعطائه صورة واضحة ومتكاملة حول الموضوع، لا بد من طرح الإشكالية التالية :

ما مدى مساهمة الزوايا في إثراء الحياة الدينية والعلمية والتربوية والثقافية بالجزائر؟ وما أنواعها؟ وما هي

أهم الأدوار الدعوية التي قامت بها في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة؟

وتتفرع عن الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو مفهوم الزوايا؟
- ما هو مفهوم الدعوة إلى الله؟
- متى تم إنشاء الزوايا؟
- ما هي أنواعها؟
- ما هي الأدوار الدعوية التي قامتبها في الجزائر؟

1. تحديد مفاهيم مصطلحات البحث.

لتحديد ماهية مفهوم حقيقة الزوايا في الجزائر ودورها الدعوي، يجب أن نحدد مفهوم مفردات مصطلحات عنوان البحث، من حيث المفهوم اللغوي، والمفهوم الاصطلاحي.

1.1. مفهوم الزوايا.

1.1.1. المفهوم اللغوي للزوايا.

الزوايا جمع زاوية، والزاوية مشتقة من الفعل زوى يزوي زيا، بمعنى الجمع والضم،[1] قال ابن فارس: "الزاء والواو والياء أصل يدل على انضمام وتجمع، يقال زويت الشيء: جمعته "[2] ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض – أو قال –إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها»[3] أي: قبضها وجمعها، يقال: انزوى الشيء إذا انقبض وتجمع،[4] ومعناه من قول النبي صلى الله عليه وسلم– زوى– لي، أي: جمعها لأجلي حتى تمكنت من الاطلاع على البعيد منها.[5]

ومشتقة من الفعل انزوى بمعنى صار في زاوية البيت ونحوه، والزاوية من البيت ركنه، وهي من البناء لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناحيتين،[6] ومعنى الانزواء الاعتزال عن الناس.[7]

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا التنوع اللغوي لمعنى الزاوية، فهي تدل على الجمع والضم، والانعزال، وركن

---

[1] - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الطبعة: الثالثة، دار صادر – بيروت، - 1414هـ، ج 1 ص 92.

[2] - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، ج 3 ص 34.

[3] - أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم: 4252.

[4] - عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ، ج 11 ص 217.

[5] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ج 6 ص 332.

[6] - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ص 408.ومحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج 38 ص 227.

[7] - تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م، ج 5 ص 391.

البيت، وتقريب البعيد، وكلها مفردات ذات دلالات متقاربة أحيانا ومختلفة أحيانا أخرى.

1. 1. 2. المفهوم الاصطلاحي للزوايا.

للعلماء تعريفات كثيرة للزوايا تتفق على بعض القيود، وتختلف في البعض الآخر، ومن هذه التعريفات.

تعريف الدكتور رفيق العجم، فقال: " هي مكان لإقامة شعائر الدين الحنيف بالصلاة والصوم والتهجد، والتأمل والذكر، والفكر والاستغراق، وتلاوة الأوراد، وإقامة حلق الذكر، والانقطاع إلى الله سبحانه عما سواه، وطلب المعرفة والتحقيق، والشهود والوصول إلى الله عز وجل، والفناء في حب الله ورسوله "[1]

تعريف صلاح مؤيد العقبي، فقال: " هي مؤسسة تربوية وتعليمية تسهر على تربية المريدين وتعليمهم، كما تعمل على نشر التعليم العربي الإسلامي الصحيح بين الجماهير، وبث مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومحاربة الجهل والأمية والآفات الاجتماعية التي كانت السبب المباشر في ضعف المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم "[2]

تعريف الدكتور أبو القاسم سعد الله، فقال: " هي مؤسسة شاملة، فهي مسجد للعبادة، ومدرسة للتعليم، وملجأ للهاربين، ومأوى للغرباء، ومركز للفقراء "[3]

تعريف محمد حجي، فقال: " هي عبارة عن مكان معد للعبادة، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم "[4]

تعريف يحي بوعزيز، فقال: " هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، تحتوي على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية الاسلامية، وأخرى لسكنى الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية "[5]

تعريف ابن مرزوق التلمساني، فقال: " هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين "[6]

من خلال ما سبق من هذه التعاريف، أنهم اتفقوا في بعض القيود واختلفوا في البعض الآخر، وأن الزاوية مرت بمراحل، وكل مرحلة لها تسميتها الخاصة بها.

والأصل في الزاوية هي ركن البناء، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى،[7] وسميت في بادئ الأمر دار الكرامة، ثم أطلق عليها اسم دار الضيوف،[8] ثم سميت الرباط، ثم تطورت بعد ذلك من خلال المراحل التي مرت بها.

ويمكن أن نقول إن الزاوية بأنها مؤسسة اسلامية ذات طابع اجتماعي وتربوي وديني وعلمي وروحي،وإصلاحي،

---

[1] - الدكتور رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1999م، ص 435.

[2] - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت لبنان، 2002م، ص 303 – 304.

[3] - الدكتور أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج 3 ص 171.

[4] - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية، 1409هـ / 1988م، ص 23.

[5] - يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 7.

[6] - محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: د. ماريا خيسوسبيغيرا، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1401هـ / 1981م، ص 413.

[7] - رقية – سبأ، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1418هـ – 1998م، ج 17، ص 5239.

[8] - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ص 24.

وحتى عسكري وقضائي، تقوم بالأعمال الدعوية، منذ تأسيسها إلى يومنا هذا.

1. 2. مفهوم الدعوة.

1. 2. 1. المفهوم اللغوي للدعوة.

الدعوة في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم الدعوة، ومن قام بها يسمى داعية، والجمع دعاة، وتشمل معانٍ كثيرة منها النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، والدعوة إلى الطعام، والترغيب،[1] والحث على الاعتقاد،[2]قال الزبيدي: " والدعاء بالضم ممدودا؛ الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال "[3]ومنه قوله تعالى: "{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل:125]، وقوله تعالى: " {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ } [آلعمران:104].

1. 2. 2. المفهوم الاصطلاحي للدعوة.

فقد عرفها ابن تيمية، فقال: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه "[4]

وعرفها الدكتور بسام العموش، فقال: "الدعوة إلى الله، أي: إلى دينه وهو الإسلام الذي هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين من خلال الاعتقاد بأركان الإيمان الستة وتطبيق أركان الإسلام "[5]

وعرفها علي بن صالح المرشد، فقال: " هي إبلاغ الناس دعوة الإسلام في زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين "[6]

وعرفها محمود علي حماية، فقال: "هي حث الناس على الخير والهدي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل "[7]

من خلال هذه التعاريف نستنتج أن ألفاظ الدعوة متقاربة ومتباينة، فقد اشتركت في عملية التبليغ والنشر و التعريف بأركان الإسلام والإيمان والإحسان، بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوالهم.

2. تاريخ إنشاء الزوايا.

---

[1] - محمد بن مكرم بن على، ابن منظور، لسان العرب، ج 14 ص 258.والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، 286.

[2] - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية– بيروت، 1421 هـ - 2000 م، ج 2 ص 325.

[3] - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 38 ص 46.

[4] - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج 15 ص 157.

[5] - الدكتور بسام العموش، فقه الدعوة، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2005م، ص 7.

[6] - علي بن صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص 4.

[7] - محمود علي حماية، سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد، دار المعارف، القاهرة، ص 5.

ترجع الجذور الأولى للزوايا إلا بعد ظهور الرباط، والرباط في اللغة مصدر رابط يرابط، بمعنى أقام ولازم المكان، والمواظبة على الأمر.[1]

ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين:

أولهما: البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها.

والثاني: عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين.[2]

وعرفه ابن مرزوق التلمساني، فقال: " الرباط في اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة، وعند المتصوفة عبارة عن الموضع الذي يلتزم فيه العبادة "[3]

وجاءت كلمة الرباط في القرآن الكريم والسنة النبوية تدل على ذلك، قال الله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60]، وقال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإنما تجرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان»[4] ومنشئو هذه الزوايا هم رجال متصوفة وزهاد، قال يحي بوعزيز: "ومؤسسو هذه الزوايا رجال دين متصوفون متزهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري ... ثم انتقل الزهد والتصوف إلى بلاد المغرب "[5]

ويعود تاريخ إنشاء الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر خاصة ابتداء من القرن الرابع الهجري كما جاء في بعض الروايات،[6]وقيل من القرن الخامس الهجري، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزاد أهميتها، وخاصة بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية،[7]وأقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن السادس الهجري، ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري،[8]ثم أصبحت مؤسسة تربوية وتعليمية تسهر على التربية والتعليم، وبث مكارم الأخلاق، ومحاربة الجهل والأمية والآفات الاجتماعية.

وتعتبر منطقة زواوة من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد وصل تعدادها أكثر من خمسين زاوية، كزاوية تيزي راشد، وزاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية، وزاوية ابن علي الشريف بآقبو، وزاوية عبد الرحمن الإيلولي،[9] إلى

---

[1] - محمد بن مكرم بن على، ابن منظور، لسان العرب، ج 7 ص 302.

[2] - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص 21.

[3] - محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص 411.

[4] - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، رقم: 1913.

[5] - يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 8.

[6] - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، ص 302.

[7] - طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، معارف، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة البويرة، السنة الثامنة، اكتوبر 2013م، العدد: 14، ص 138.

[8] - طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية، ص 138.

[9] - الدكتور أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 265.

غير ذلك من الزوايا في الغرب الجزائري وجنوبها.

وأنشأت هذه الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها، وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صديها للغزاة على مر العصور، وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبة أتباعها ومريديها ضد الغزو الأجنبي،[1] كما كان نشاطها في غير الحرب التربية والتعليم، وتحفيظ القرآن الكريم، وبث مكارم الأخلاق، ومحاربة الآفات الاجتماعية.

3. أنواع الزوايا.

تعددت أنواع الزوايا في الجزائر باعتبارات متعددة ومختلفة، وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزاوية، وحسب المكان أو الموقع الذي تقع فيه، وأيضا حسب الأدوار التي تقوم بها هذه الزاوية.

3. 1. أنواع الزوايا باعتبارالانتساب الذي تنتمي إليه.

الزوايا بحسب الانتساب حرة لا تخضع في تسييرها إلى جهة معينة، وزوايا غير حرة تخضع في تسييرها للشيخ المؤسس، أو المرابط، أو من خلفهما بعد موتهما.

3. 1. 1.زوايا غير حرة.

الزوايا غير الحرة، تنقسم إلى قسمين خلواتي وغير خلواتي:

أ خلواتي.

فهي زوايا طرقية يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية، ولهم مريدين وورد خاص بهم، ويقومون بالحضرة، ولهم فروع في كامل أنحاء البلاد، ولكل واحد منهم طريقته الخاصة، في منح الأوراد للمريدين،[2] وهذه الزوايا الخلواتية تعرف بزوايا المشايخ.

وهذه الزوايا هي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على إدارة الزاوية، وهو صاحب الحل والعقد، فلا يحق لأي أي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية، سواء من قريب أو بعيد، فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة، فإذا مات الشيخ استخلفه أحد أفراد عائلته، فمشيخة الزاوية وراثية أبا عن جد.[3]

ب غير خلواتي.

فهي زوايا المرابطين وليس لهم طريقة صوفية ولا مريدين، ولا يدعي شيوخها الأسرار الغيبية، ولكنهم يتخذون لأتباعهم وردا خاصا يتلونه بعد أداء الصلوات.[4]

والمرابطون جمع رباط، وكلمة الرباط تعني الملازمة والإقامة والثبات على الجهاد في سبيل الله، والرباط أنه

---

[1] - عبد القادر الشطي، السلفية الوفية، مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الجزائر، 2002م، ص 310.

[2] - يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 50.

[3] - محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ص 44.

[4] - يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، ص 51.

كان يمتاز بالقرب من مواقع الأعداء، والهدف من تأسيسه بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم، وكان المرابطون في العهد الأول منتشرون على السواحل التي نزل فيها الأعداء، فكان المرابطون جنودا وعلماء في نفس الوقت.[1]

ولعل أولى الرابطات التي عرفتها الجزائر رابطة عبد السلام التونسي في تلمسان خلال أواخر القرن الخامس الهجري، ورابطة ابن الزيات ببجاية.[2]

3. 1. 2. زوايا حرة.

الزوايا الحرة لا تنتسب لا إلى ولي أو طريقة صوفية، أو إلى أي جهة، يدير شؤونها مجلس يتكون من الطلبة، داخليا وخارجيا، ولهم السلطة الكاملة والاستقلال التام في تسيير شؤونها، مثل زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، وهي تختلف عن زوايا المشايخ والمرابطين،[3] ويسمى هذا النوع من الزوايا بزوايا الطلبة.

3. 2. أنواع الزوايا باعتبار المكان.

3. 2. 1. زوايا الأرياف.

زوايا الأرياف يعود تأسيسها إلى أتباع المرابطين، وزاوية الريف أدت دورا أكثر إيجابية من زاوية المدينة،[4] لأنها تقع في الأماكن الهادئة مثل الصحاري والجبال والوديان والغابات، فالصلاح مؤيد العقبي: " وفي تلك الزوايا المنعزلة في الجبال والأرياف الهادئة البعيدة عن الضوضاء والصخب، كان أبناء الجزائر يحفظون القرآن الكريم ويتعلمون دينهم ولغتهم وشريعتهم على شيوخ رباهم القرآن وهديهم الإسلام "[5]

3. 2. 2.زوايا المدن.

زوايا المدن تختلف عن زوايا الريف من حيث الشكل والبناء، فهي عبارة عن بناية كبيرة، وتؤدي دورا إيجابيا في العلم بجميع مستوياته، ودورا اجتماعيا كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء،[6] وتختلف عنها أيضا في المؤونة لأن زوايا الأرياف لها أوقاف خاصة بها من الأراضي والبساتين، أما زوايا المدن كان لها دخل محدود، من طرف جماعة المحسنين.

3. 3. أنواع الزوايا باعتبار الأدوار.

3. 3. 1. زوايا القرآن.

مهمة هذه الزوايا تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، للكبار والصغار، ويقتصر دورها على تعليم الذكور دون

---

[1] - الدكتور أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 272.

[2] - أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، الطبعة الثانية، 1997م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 110.

[3] - د. رشيدة شدري معمر، الزوايا ودورها الديني والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المعيار، مجلد: 24، عدد: 49، السنة: 2020م، ص 275.

[4] - طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، ص 138.

[5] - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، ص 300.

[6] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص 269.

الإناث، وقد يؤوي إليها غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية في الكتاتيب، واستظهروا بعض السور من القرآن الكريم.

3. 3. 2. زوايا العلم.

مهمتها تقوم بتدريس العلوم الشرعية، وحفظ المتون وشرحها، لا سيما الفقهيات والعقائد وقواعد النحو والصرف والبلاغة وعلومي القرآن والحديث، وهذا النوع قد يؤوي إليه غالبا إلا الحافظون للقرآن الكريم كله.

3. 3. 3.زوايا الضيافة.

مهمتها إقراء الضيف من إطعام الطعام وإيواء الزوار والغلبة من المساكين والمشردين من عامة الناس الذين لا يوجد لهم مكان يؤويهم،[1] فيقصدون الزوايا ويجعلونها مكانا لإقامتهم، بمثابة الفندق حاليا.

3. 3. 4.زوايا منحرفة.

تتمثل في بعض الزوايا التي أدت إلى الدور السلبي الذي يتمثل في الرقص وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف واللعب بالنار، وهذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى، وأصبح في ذهن الكثير من الناس أن لفظ الزاوية تعني مزيجا من الرهبانية والبدعيات والشركيات من سحر وشعوذة إلى غير ذلك من المحرمات.[2]

4. الأدوار الدعوية للزوايا في الجزائر.

الزوايا في الجزائر قامت بعدة أدوار دعوية التي كانت سببا في المساهمة على حفاظ الوحدة الدينية والوطنية، والتمسك بالمرجعية.

4. 1.الدور الديني.

الزاوية بمختلف أنواعها انطلقت على أساس الفكرة الدينية، حيث كانت تقوم بحلقات توعية في مجال العبادات وآداب السلوك والمعاملات في ضوء روح الشريعة الإسلامية،[3] كما تمثلت في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر الإسلام وزرع الثقافة الروحية في الشعب عامة.[4]

4. 2.الدور التربوي.

قامت الزوايا بوظائف تربوية وروحية ووجدانية، للمعلم والأمي، الرجل والمرأة، البالغ والقاصر، الشيخ والمريد، والتربية التي قامت بها الزوايا هي في الأساس انقياد واعتقاد، خضوع ونية، بهاتين الخصلتين يتم الشفاء والهناء والقناعة، ففي الزاوية يجد الفرد المساعدة والمواساة، النصيحة والإرشاد، بشرط أن تحسن النية ويتم

---

[1] - مولاي التهامي الغيثاوي، اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة، رسالة المسجد، السنة الخامسة، العدد الثاني، شعبان 1428هـ / أوت 2007م، ص 49.

[2] - تركي رابح، التعليم والقومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981م، ص 244.

[3] - العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: 15، جوان، 2014م، ص 130.

[4] - يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920 – 1945م، دار الأمل، الجزائر، 2007م، ص 98.

الانقياد، الانقياد ينافي الأنانية والاعتزاز، والنية تفتح باب الممكنات وتحول الأسباب إلى وسائل.[1]

4. 3.الدور التعليمي.

قامت الزوايا بوظائف تعليمية في مختلف العلوم الدينية والأدبية، وكل ما يحيط بالأمور الشرعية كالقراءة والكتابة وحفظ القرآن وحفظ الحديث وتعلم النحو والفقه والتفسير والعقيدة والتصوف، حيث برز العديد من العلماء في جميع الميادين، كالقراءات والتفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول والبلاغة والأدب وغيرها من العلوم.[2]

ومما يؤكد دور الزوايا في مجال التعليم ما قاله العلامة والمصلح والأستاذ باعزيز بن عمر: "ونحن لم نعرف ببلاد الزواوة مدرسة غير هذه الزوايا فتاريخها في الجملة يرجع إلى عصر قديم وهو ازدهار الإسلام بشمال إفريقيا عموما و بالزواوة خصوصا، وإليها يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه بهذه البلاد لا إلى شيء آخر "[3]

4. 4. الدور الجهادي.

كان للزوايا الدور الكبير للجهاد في سبيل الله في مختلف مراحل المقاومة الجزائرية، من المقاومة الشعبية، إلى المقاومة السياسية، إلى الثورة التحريرية المباركة، والمثال على ذلك: ثورة الأمير عبد القادر سنة 1832م، التي كان منبعها الزاوية القادرية في الغرب الجزائري، وثورة الشيخ المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م، التي كان منبعها الزاوية الرحمانية في منطقة القبائل.[4]

4. 5.الدور الإصلاحي.

من بين الأدوار الدعوية التي قامت بها الزوايا رأب الصدع وإصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع في الشدائد والمحن، كأحداث القبائل أو غرداية أو برج باجي المختار، والأمثلة على ذلك مبادرة الصلح التي قام بها أئمة وشيوخ زوايا عنابة لولاية غرداية ولقائهم بجميع الأطراف، وتمحور اللقاء حول معاني الأخوة وإطفاء نار الفتنة ووحدة الوطن، مقترحين تبادل الزيارات في المناسبات وغيرها بغية التقارب بين الطرفين.[5]

4. 6.الدور الاجتماعي.

فإن الزاوية كانت ولا زالت قائمة في بعث روح التعاون والتضامن والتكافل، فأي مسافر أو غريب أو محتاج يقصد الزاوية يستقبل أحسن الاستقبال ويمكث فيها، ويتناول طعامه وشرابه في المدة التي يقيم بها وينام،[6] إلى أن أن يقضي حوائجه أو يعود إلى وطنه.

---

[1] - عبد الله العروي، من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي، ص 29.

[2] - كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص 160 – 161.

[3] - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، ص 311.

[4] - الزبير سيف الإسلام، ثورة المقراني في حديث الأولاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 45.

[5] - زهيرة، زيارة صلح إلى ولاية غرداية، جريدة الخبر، 18 فيفري 2014م، عنابة، متاح على: https://elkhabar.com//press/article/25869. تاريخ الاطلاع: 2024/07/11م.

[6] - نور الدين إيلال، الزوايا في الجزائر وتأثيرها من خلال الكتابات الاستعمارية خلال القرن 19، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد: 04، العدد: 02، ص 157.

4. 7. الدور الصحي.

لقد اشتهر العديد من مشايخ الزوايا بعلاج الكثير من الأمراض المستعصية، كالبرص والعقم والصرع والمس والسحر وغيرها من الأمراض، من خلال تقديم بعض الوصفات عن طريق الأعشاب وبعض المواد المعدنية، أو الرقية الشرعية تتمثل في قراءة القرآن الكريم والأدعية النبوية.[1]

خاتمة.

نستخلص مما سبق إن الزوايا بمختلف أنواعها قامت بدورها الدعوي في ظلال تطورات التي مرت بها الجزائر.

وبعد إتمام هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقه، نستنتج أهم النتائج، وهي كما يلي:

- الزاوية في الأصل كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب، ثم أطلقت على المسجد الصغير، ثم على المصلى، وسميت في بادئ الأمر دار الكرامة، ثم أطلق عليها اسم دار الضيوف.

- الزاوية هي مؤسسة إسلامية ذات طابع ديني وعلمي وتربوي واجتماعي وروحي، تقوم بأعمال دعوية.

- الدعوة هي إبلاغ الناس إلى تعاليم الإسلام والإيمان والإحسان، بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوالهم.

- يعود تاريخ إنشاء الزوايا بالجزائر ابتداء من القرن الرابع والخامس الهجري، بعد الفتوحات الإسلامية.

- أول زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن السادس الهجري.

- تعدد أنواع الزوايا في الجزائر باعتبارات متعددة، وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه، وحسب المكان أو الموقع، وحسب الأدوار التي تقوم بها.

- الزوايا في الجزائر قامت بأدوار متعددة التي كانت سببها المساهمة في المحافظة على الوحدة الدينية والوطنية، والتمسك بالمرجعية.

- الزوايا في الجزائر كانت ولا زالت تقوم بالعمل الدعوي وخاصة التربوي والتعليمي والإصلاحي والاجتماعي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] - العماري طيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد: 15، جوان، 2014م، ص 133.

المصادروالمراجع.

القرآن الكريم.

1. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421 هـ - 2000 م.

2. أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت.

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

4. أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية–بيروت.

5. أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، الطبعة الثانية، 1997م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

6. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

7. بسام العموش، فقه الدعوة، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2005م.

8. تركي رابح، التعليم والقومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981م.

9. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

10. رقية – سبأ، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1418هـ – 1998م.

11. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1999م.

12. رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م.

13. الزبير سيف الإسلام، ثورة المقراني في حديث الأولاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

14. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت لبنان، 2002م.

15. طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري.

16. عبد القادر الشطي، السلفية الوفية، مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الجزائر، 2002م.

17. عبد الله العروي، من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي.

18. علي بن صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر.

19. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ.

20. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

21. محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415هـ.

22. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

23. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.

24. محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: د. ماريا خيسوسبيغيرا، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1401هـ / 1981م.

25. محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الثانية، 1409هـ / 1988م.

26. محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر.

27. محمود علي حماية، سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد، دار المعارف، القاهرة.

28. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

29. مولاي التهامي الغيثاوي، اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة، رسالة المسجد، السنة الخامسة، العدد الثاني، شعبان 1428هـ / أوت 2007م.

30. يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920 – 1945م، دار الأمل، الجزائر، 2007م.